Archive of SID

الإبداع والجدة فى كتاب البديع لابن المعتز

صادق إبراهيمى كاورى*

رحيمة چولانيان**

الملخص

من المراحل الهامة جدا فى تطور آداب الأمم ولغاتها مرحلة التقعيد، فلا تصل أمة إلى هذه المرحلة حتى يصل أدبها ولغتها إلى درجة من النضوج، لأن الغاية من وضع القواعد والمعايير حفاظ اللغة والأدب من الوقوع فى الخطأ.

وقد قام العلماء والأدباء على اختلاف درجاتهم واتجاهاتهم بهذا الأمر فى التأليف، فمن هؤلاء النفر عبدالله بن المعتز صاحب كتاب البديع.

أورد ابن المعتز فى صدر كتابه الذى سماه البديع: وما جمع قبلى فنون البديع أحد ولاسبقنى إلى تأليفه مؤلف، ثم أضاف إلى تأليفه عنصرين هما: الجدة والإبداع، حيث كان يرى كل فن بديعى يفقد هذين العنصرين.

الكلمات الدليلية: البديع، الجدة، الفن، ابن المعتز.

*. عضو هيئة التدريس بجامعة آزاد الإسلامية فى آبادان.

**. خريجة جامعة آزاد الإسلامية فى آبادان.

تاريخ الوصول: ١٣٨٨/٨/١هـ. ش تاريخ القبول: ١٣٨٨/١١/٢٠ . ش

www.SID.ir

Archive of SID

المقدمة

إن التقعید فی اللغة العربیة وعلومها إنما ابتدأ یوم شَعَر الأوائل بأن اللحن بدأ یدبّ علی ألسنة العرب والمسلمین بسبب الاختلاط بین الأجناس، وتزاید حاجة الداخلین فی الإسلام إلی تعلم اللغة العربیة، وفهم القرآن الکریم، ومن ثم بدأ التقعید یتبلور فی اتجاه واسع یستغرق علوم العربیة، ویهدف إلی وضع معاییر تحفظ اللسان من الخطأ، وتعین الذوق فی إدراک الأسرار العجیبة لکلام ربّ العزة، ثم الوقوف علی ما فی الإبداع البشری من بلاغة وجمال.

ومن هذا المنطلق، نری علم البلاغة قدحاز باهتمام العلماء والأدباء الأوائل، علی تفاوت فی الدرجة بین المؤلفات الأولی وما تلتها، وقد حرصوا علی وضعها وتقدیمها بمظهر علمی کی تکون مقیاسا ومیزانا، یلتجئ النقاد إلیه فی کتاباتهم النقدیة، وکانت المصطلحات العلمیة لهذا العلم من أبرز ما اعتنوا به منذ أن کانت مفهوما لغویا عند الجاحظ وابن قتیبة الدینوری، واستوت إلی حد کبیر فی کتابات الشیخ عبدالقاهر الجرجانی، لاسیما فی کتابیه: دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ثم تطورت وأخذت شکلها النهائی علی ید السکاکی.

ومن هؤلاء الأوائل عبدالله بن المعتز الذی یراه مصطفی الشکعة، مؤلفا «یختلف عن بقیة المؤلفین والأدباء لأن المؤلف شاعر مبدع، وکاتب کبیر، وهو إلی ذلک عالم جلیل، وناقد ذواقة.» (الشکعة، ۱۹۹۸م: ۴۲۹) صاحب التألیفات العدیدة من أشهرها کتاب البدیع، فکما قیل عنه: «فهو مظهر لثقافة أدبیة واسعة، تنم عن اطلاع مؤلفه علی ما ألفه العرب فی الأدب والنقد والبیان، وخاصة ما کتبه الجاحظ فی مؤلفاته.» (نورالدین عبدالمنعم، ۲۰۰۹م: ۲۳)

یقول ابن المعتز فی صدر کتابه الذی سماه البدیع: «وما جمع قبلی فنون البدیع أحد ولاسبقنی إلی تألیفه مؤلف. وألفته سنة أربع وسبعین ومائتین، وأول من نسخه منی علی بن یحیی بن منصور.» (ابن أبی الأصبع، ۱۹۸۳م: ۳) ولکی یرصد هذه الظاهرة التی أطلق اسمها عنوانا لکتابه، والمادة اللغویة لکلمة (بدع) فی اللغة العربیة تدور حول معنی الخلق والإنشاء علی غیر مثال، ولذلک فکلمة البدیع اسم من أسماء الله تعالی: ﴿بَدِیعُ

www.SID.ir

Archive of SID

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (البقرة: ١١٧) لأنه أوجدها من العدم.

يورد ابن أبى الأصبع فى مقدمة التحرير قائلا: «أما ابن المعتز فهو الذى سماه البديع.» (ابن أبى الأصبع، ١٩٨٣م: ٢) ومعنى ذلك أن إطلاق ابن المعتز اسم البديع على كتابه فيه إشارة سوف تصدقها قراءة الكتاب نفسه، إلى أن المعتز كان يميل إلى المذهب النقدى الذى يؤثر الخروج على الأساليب القديمة ويستحدث أساليب جديدة مبتكرة، بِكر تعبر عن روح الحاضر، وهذا هو المذهب الذى نادى به أبو نواس من قبل، وإن كان أبو نواس قد مزجه بمسحة شعوبية مقيتة تستهزئ بالعرب، وأساليبهم فى القول، وفى المعيشة.

يبدأ ابن المعتز كناية بقوله: «قد قدمنا فى أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا فى القرآن الكريم، واللغة، وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكلام الصحابة، والأعراب، وغيرهم، وأشعار المتقدمين من الكلام الذى سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا، ومسلما، وأبا نواس، ومن تقيلهم [أى أشبههم وعمل مثل عملهم] وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثر فى أشعارهم، فعرف فى زمانهم حتى سمى بهذا الاسم، فأعرب عنه، ودل عليه.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ١)

فلو دققنا فى هذه الفقرة لوجدنا ابن المعتز يحاول أن يشير إلى شيئين، هما على الترتيب: أولا: أن اسم البديع الذى هو عنوان الكتاب، تنطبق دلالته اللغوية، وتعرب وتدل على محتوى هذه الظاهرة التى تعرض ابن المعتز لها، أى أن المعنى اللغوى لكلمة البديع يتطابق مع المعنى الاصطلاحى (كما بينا قبل قليل) أى الابتكار، والتجديد، والخروج على المألوف والخلق، أى ما يساوى فى لغتنا المعاصرة مفهوم الإبداع أو الابتكار أو الاختراع. ثانيا: إن ابن المعتز بتصريحه بأن بشارا، ومسلما، وأبا نواس، ومن تابعهم، لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم، وبتصريحه أيضا، بأنه كان موجودا فى القرآن الكريم، وفى الشعر الجاهلى، إنما نبه إلى شىء مهم، وهو أن هذه الظاهرة المسماة بالبديع، لم تكن ظاهرة تاريخية أو اجتماعية بديلة، لما أطلق عليه الجاحظ مصطلح البيان العربى، بل هى ظاهرة فنية فردية، تتعلق بإبداعات المتحدثين فى العصور كلها دون تفريق، ومعنى ذلك أنها ليست ظاهرة لغوية بل هى ظاهرة أدبية.

www.SID.ir

Archive of SID

وبذلک يفترق الجاحظ عن ابن المعتز فى أن الأول يعدها ظاهرة تاريخية، ترتبط بأذواق المولدين، ويجعلها ظاهرة مقابلة للبيان العربى، إذ أن البيان العربى عنده يعبر عن سليقة مفطورة فى العرب الجاهليين، تجعلهم يعبرون عن معانيهم بطرق خاصة، وتقاليد تعبيرية معنية، وأن البديع يعبر عن ذوق خاص للمولدين، يجعلهم يعبرون عن أنفسهم بأساليب جديدة على البيان العربى، فهو إن صح التعبير، بيان جديد فى مقابلة البيان العربى القديم.

من ثم فإنه حسب رؤية الجاحظ، يمكن حصر أشكال التعبير فى البيان العربى فى شواهد معدودة، وصناعة قاموس لها، ويمكن كذلک حصر أشكال التعبير البديعى، وعمل قاموس لها من خلال تتبع الاستخدامات البيانية، والاستخدامات البديعية، وهذا هو المأزق الذى وقعت فيه البلاغة العربية فى وقت لاحق بعد السكاكى ومدرسته.

ومن الجدير بالذكر، وجود الرؤية الانفتاحية التقدمية لدى ابن المعتز، حيث يدعو الجميع بعد أن قدّم البديع على أنه ظاهرة فنية، فترک الباب مفتوحا أمام الأدباء والمتحدثين، بلا حصر وبلا تحديد، فهو ليس أسلوب العصر، بل أسلوب الشاعر والكاتب، وهو تكنيک فنى، وليس قواعد نحوية، وهو رغم عدم ابتعاده عن التوظيف الدلالى إلا أن غايته جمالية لا بيانية، «فاقتدى الناس بابن المعتز فى قوله: فمن أحبَّ أن يضيف شيئا من هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع فليفعل، فأضاف الناس المحاسن إلى البديع، وفرعوا من الجميع أبوابا أخرى... .» (ابن أبى الأصبع، ١٩٨٣م: ٧)

أما تأثير الأمان، وتغير العصر، والثقافة فقد أشار إليه ابن المعتز، ولكن لم يقل كما ألمح الجاحظ أن فن البديع قد ظهر على أيدى المولدين، بل قال نقيض ذلک، لكنه قال إن المولدين أكثروا فقط من هذا البديع وأفرطوا فيه، وهكذا يشير ابن المعتز، إلى أن التطور الفنى الذى حدث فى الأدب العربى قد انتقل من البساطة، والفطرة، والطبع إلى التعقيد، والصنعة، والتكلف.

يقول ابن المعتز: «سماه المحدثون البديع، ليعلم أن بشارا، ومسلما، وأبانواس لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر فى أشعارهم (أى المولدين) فعرف فى زمانهم ... ثم إن

www.SID.ir

Archive of SID

حبيب بن أوس الطائى (أبو تمام) من بعدهم شغف به، حتى غلب عليه، وتفرع فيه وأكثر منه، فأحسن فى بعض ذلک، وأساء فى بعض، وتلک عقبى الإفراط، وثمرة الإسراف.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ١)

فيشير ابن المعتز إلى نقطة هامة أخرى، وهى أن البديع ليس دائماً جميل، بل قد يكون جميلاً، وقد لا يكون، وتكثر عثرات الشاعر فيه إذا أفرط فى استخدامه إفراطاً شديداً كما هو الحال مع أبى تمام. فالإفراط مذموم فى كل شىء، لأنه يجعل الكلام مثقلاً، حتى الحكمة نفسها، إذا أفرط الشاعر فى الإتيان بها متراصة متلاصقة مكثفة، كما هو الحال مع صالح بن عبدالقدوس، تكون ثقيلة، وكذلک الحال مع البديع، إذا أفرط الشاعر فيه انكفأ عليه، وأصبح الفن نفسه غاية فى ذاته. (المصدر نفسه: ٢و٣)

ينتقل ابن المعتز بعد ذلک إلى نقطة أکثر تحديداً، وخطورة، وهى تفسيره لجمال البديع نفسه. لماذا يكون البديع جميلاً؟ أو كيف يكون البديع جميلاً؟!

يبدأ ابن المعتز التمثيل للبديع، بآية قرآنية، وبشطر بيت من الشعر الجاهلى، ينسب لعلقمة الفحل. الآية القرآنية هى: ﴿وَإِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيٌّ حَكِيمٌ﴾ (الزخرف: ٤) وشطر البيت: «والصبح بالكوكب الدرى منحور» وصدر البيت: «أوردتها وصدور العيس مسنفة» (مسنفة: ضامرة) وموضع البديع فى الآية فى كلمتى: أم الكتاب، وموضعه فى البيت: الصبح منحور بالكوكب، إذ يرى ابن المعتز أن هذا التعبير وذاک، بديع، أى فيه جدة، لم يسبق له، أو سبق له، لكنه لم يتحول إلى حقيقة لغوية. (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ٢)

فعند مراجعتنا المصادر القديمة، نرى أن مفردة أم، كانت فى اللغة تطلق على أمهات الإنسان، أو الحيوان، لكن لم يؤلف إطلاقها على مجموعة جمل، باعتبارها أما لكتاب، وكذلک الأمر بالنسبة للصبح، فكلمة نحر، كانت تقال للذبح الذى هو خاص بالحيوان، لكن إن تسند كلمة منحور إلى الصبح، وأن يكون ذلک بسكين الكوكب الدرى، فهذا هو الجديد الذى لم يؤلف. لكن لو أن هناک استعارة استهلكها الناس واستخدموها باعتبارها حقيقة لغوية معتادة، ونسى الموضع المستعار منه، فإن الكلمة حينئذ أو الاستعارة لا تكون استعارة بديعية. فكلمة زمام، فى قولنا: زمام الأمر، استعارة لكنها ليست بديعاً،

www.SID.ir

Archive of SID

وکذلک قولنا: ذروة المجد، وعلی کاهل فلان، ومحراب الفن، کلها استعارات میتة، ولیست بدیعاً فی شیء، لأن عنصر الغرابة فیها قد زال، وأصبحت مألوفة معتادة. ولذلک یقول ابن المعتز: «ومثل ذلک قول القائل الفکرة مخ العمل فلو کان قال لب العمل لم یکن یدیعاً.» (المصدر نفسه: ٢)

أورد السکاکی فی مفتاحه قائلا: «واعلم أن أنواع البدیع کثیرة، وأول من اخترع ذلک ابن المعتز. قد جاء ابن المعتز بأنه أول من استجمع فنونه، وألّف فیها کتابا، وأوصل فنون البدیع إلی خمسة فنون، هی: الاستعارة، والتجنیس، والمطابقة، ورد أعجاز الکلام علی ما تقدمها، والمذهب الکلامی.» (السکاکی، ١٩٨٧م: ٤٠٣) ولکن الأمر الهام هنا أیضا أن ابن المعتز یرکّز علی الجدة، فلا یدرج کل استعارة فی مجال البدیع، ولا کل تجنیس، ولا کل مطابقة، بل الاستعارة، والتجنیس، والمطابقة التی تتحلی ببکارة الجدید، والاغتراب، وعدم الألفة، فإذا استهللت الاستعارة، ماتت، وتحولت حقیقة لغویة معتادة لاإشعاع فیها ولا جدة. ثم یبدأ ابن المعتز فی شرح ألوان البدیع، أو فنونه عن طریق تطبیق نماذج: فیبدأ بالاستعارة: متمثلا لها بقول الله تعالی: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (آل عمران: ٣) و ﴿وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ (الإسراء: ١٧) و ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ (مریم: ١٩) و ﴿عَذَابُ يَوْمٍ عَقِيمٍ﴾ (الحج: ٢٢) و ﴿وَآيَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ (یس: ٣٦) ثم یأتی بأمثلة من الحدیث النبوی الشریف، ثم بأقوال من کلام الصحابة، ثم یختم ذلک بأمثلة من الشعر الجاهلی، ثم الإسلامی، ثم من أشعار المحدثین وکلامهم.

الملفت للنظر فی رأی ابن المعتز للاستعارة، هو أنه «ذکر بعقب الاستعارة الجیدة، طائفة من الاستعارات الردیئة، وبذلک سَنّ للبلاغیین بعده أن یتحدثوا عن العیوب التی وقعت فی بعض الفنون البلاغیة.» (ضیف، ٢٠٠٥م: ٧٠)؛ مثلا أنه یری أن الرتابة، والألفة تذهب بجمال الاستعارة، ویری أن اغترابها الشدید أیضاً یذهب برونقها.

عندما یتکلم عن اللون الثانی أو المجانسة کما یقول ابن رشیق (القیروانی، ١٩٨٢م: ٣٥٤) یبیّن کذا: «وهو أن تجیء الکلمة تجانس أخری فی بیت شعر وکلام، ومجانستها لها أن تشبهها فی تألیف حروفها... فمنه ما تکون الکلمة تجانس أخری فی تألیف

www.SID.ir

Archive of SID

حروفها، ومعناها ويشتق منها، مثل قول الشاعر: يوم خلجت على الخليج نفوسهم. أو يكون تجانسها فى تأليف الحروف دون المعنى، مثل قول الشاعر: إن لوم العاشق اللوم.» (ابن المعتز، ١٩٨٢م: ٢٥)

ثم يورد أمثلة من القرآن الكريم، وأمثلة أخرى من كلام الصحابة، ومن الشعر الجاهلى، والإسلامى، ومن كان المولدين وأشعارهم، ويشير ابن المعتز أثناء إيراده للأمثلة إلى أن بعض التجنيس يأتى بكراً جديداً لا تقليد فيه، وبعض آخر من التجنيس مسروق.

عندما ندقق فيما أورد ابن المعتز من شواهد لهذا اللون، نصل إلى أنه يرى أن التجنيس أيضاً قد لايكون بديعاً، بل مقلداً، ومسروقاً كما هو الشأن مع الاستعارة، إذ يتحول فى هذه الحالة إلى قالب لغوى محفوظ، لاجدة فيه، ولايشعر القارئ، أو السامع له بالغرابة، والطرافة. وفى آخر حديثه عن هذا اللون يورد ابن المعتز أمثلة للتجنيس المعيب.

وأما اللون الثالث فهو المطابقة، يسير ابن المعتز فى إيراده للأمثلة على السير نفسه الذى ساره فى الألوان البديعة السابقة، بحيث يبدأ بآيات من القرآن الكريم، ثم بالأحاديث النبوية الشريفة، ثم كلام الصحابة والتابعين، ثم شعر الجاهليين، فالإسلاميين، ويختم ذلک كله بكلام المولدين، وأشعارهم. ثم يورد المعيب من المطابقة فى الكلام، والشعر. (المصدر نفسه: ٣٦)

اللون الرابع الوارد هو (رد أعجاز الكلام على ماتقدمها): وينقسم رد أعجاز الكلام على ما تقدمها – كما أورده ابن المعتز – إلى ثلاثة أقسام:

الأول: ما يوافق آخر كلمة فيه، آخر كلمة فى نصفه الأول، مثل قول الشاعر:

تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما   فى جيش رأى لا يفل عرمرم

الثانى: ما يوافق آخر كلمة منه، أول كلمة فى نصفه الأول، كقول الشاعر:

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه   وليس إلى داعى الندى بسريع

الثالث: ما يوافق آخر كلمة فيه، بعض ما فيه، كقول الشاعر:

www.SID.ir

Archive of SID

عمید بن سلیم أقصدته سهام الموت وهی له سهام

ویری ابن المعتز أن إتیانٍ هذا النمط من الإیقاع اللغوی إنما یکون بدیعاً جمیلاً إذا جاء اتفاقاً، فقد صرح مع کل مثال من الأمثلة التی ضربها للأنواع الثلاثة السابقة، بتکرار عبارة: (ما یوافق) للإشارة إلی أن الذی یأتی تعسفاً فهو مشین، ومتکلف. ومثلما صرح ابن المعتز بأن الاستعارة، والتجنیس، والطباق قد جاءت فی الشعر الجاهلی، وفی القرآن الکریم، وحدیث رسول الله صلی الله علیه وسلم، فإنه یصرح أیضاً بأن هذا الفن أی (رد العجز علی ما تقدم من الکلام) قد ورد فی الشعر الجاهلی، وفی القرآن الکریم، وفی الحدیث النبوی الشریف. (المصدر السابق: ۵۳)

وأما اللون الخامس الذی تحدث عنه ابن المعتز فهو المذهب الکلامی. یصرح ابن المعتز أن هذا الاسم أطلقه علیه الجاحظ، ویصرح أیضاً بأنه باب، لم یرد منه شیء فی القرآن الکریم لأنه متکلف. طبعا یقصد بالمذهب الکلامی: التفلسف، أی استخدام القضایا الفلسفیة، والمنطقیة فی الکلام أو فی الشعر.

هذه الفنون الخمسة هی التی ضمنها ابن المعتز فی کتابه علی صورته الأولی التی ألفها سنة أربع وسبعین ومائتین. لکنه عاد إلیه مرة أخری، فأضاف إلیه فنونا أخری من البدیع بأسلوب مختلف فی العرض والمعالجة، وفی الهدف أیضاً، فإذا کان قد صرح فی مقدمته الأولی، بأن هدفه هو إثبات أن البدیع لم یکن مستحدثاً، بل سبق إلیه القدماء لهذا یؤکد فی أقواله علی (ما جمع قبلی) و(لم یقل ما تکلم أو أتی قبلی).

فابن المعتز نفسه لم یکن مصراً إصراراً باتاً علی أن یتخذ المؤلفون بعده هذا الأسلوب فی هذا التقسیم الخماسی، بل یقول: «فمن أحب أن یقتدی بنا، ویقتصر بالبدیع علی تلک الخمسة فلیفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غیرها شیئاً إلی البدیع، ولم یأت غیر رأینا فله اختیاره.» (المصدر السابق: ۳۴) ولکن لم یفعل المحدثون شیئاً، سوی أنهم أکثروا منه (سنأتی بما أضافه المحدثون)، إذا کان قد فعل ذلک فی بدایة الکتاب فی صورته الأولی، فإنه فی مقدمة الإضافات الجدیدة یؤرخ للکتاب، ویبدو أنه قد عانی من فقد اللغویین له، فهو یقول بعد أن یذکر المعاندین، والمعترضین، ومنکری الفضائل،

www.SID.ir

Archive of SID

وأقاويلهم: «البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء، ونقاد المتأدبين منهم، فأما العلماء باللغة، والشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم، ولا يدرون ما هو.» (المصدر السابق: ٥٨)

وهكذا، وبهذه الجمل قد أزاح ابن المعتز عن المؤلفين الآتين بعده أيَّ مانع فى إتيان، وإضافة الشئ الجديد إلى ما قدّمه فى كتابه، وإن كان يقول: «وما جمع فنون البديع، ولاسبقنى إليه أحد ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام، والشعر، ومحاسنها كثيرة، لاينبغى للعالم أن يدعى الإحاطة بها حتى يتبرأ من شذوذ بعضها عن علمه.» ثم يورد أمثلة كثيرة لفنون أخرى للبديع تضاف إلى الفنون الخمسة السابقة.

وأما الفنون التى أضافها ابن المعتز إلى كتابه فهى: ١. الالتفات ٢. الاعتراض ٣. الرجوع ٤. حسن الخروج ٥. تأكيد المدح بما يشبه الذم ٦. تجاهل العارف ٧. الهزل الذى يراد به الجد ٨. حسن التضمين (المعروف حديثاً بالتناص) ٩. التعريض، والكناية ١٠. الإفراط فى الصفة ١١. حسن التشبيه ١٢. إعنات الشاعر نفسه فى القوافى وتكلفه ما ليس له ١٣. حسن الابتداء.

وقد أتى المؤلفون بعد فتوى ابن المعتز الأدبية هذه، فى فتح باب الاجتهاد الأدبى أمامهم عندما قال: «فمن أحب أن يقتدى بنا، ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفعل، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع، ولم يأت غير رأينا فله اختياره.» فنجد أن معاصره قدامة بن جعفر جمع عشرين فناً، توارد هو وابن المعتز على سبعة منها، واستقل بثلاثة عشر، فكان المجموع لفنون البديع بينهما ثلاثين فناً، ثم أضاف أبوهلال العسكرى فى الصناعتين سبعة فنون أخرى، (أصبحت ٣٧ فناً) ثم صاحب العمدة، ابن الرشيق أضاف ثمانية وعشرين، (أصبحت ٦٥ فناً) وأضاف شرف الدين التيفاشى خمسة، فأوصلها إلى السبعين فناً فى كتابه البديع، حتى جاء ابن أبى الأصبع فى كتابه تحرير التحبير، وهو أول كتاب اشتمل على النقل والنقد معاً، بعشرين فناً آخر فبلغت التسعين،ثم ابن منقذ زاد خمسة فجعلها ٩٥ فناً (كتاب التفريع فى البديع)، إلى أن انتهى المطاف بصفى الدين الحلى، واستوت هذه الفنون على سوقها فزاد خمسة وأربعين فناً، فأوصلها إلى مائة وأربعين فناً، أوردها فى شرح الكافية البديعية.

www.SID.ir

Archive of SID

النتيجة

إن ابن المعتز، من خلال هذا الكتاب، أديب موسوعی، ذو ثقافة واسعة، وذو ذوق سليم، قد أورد شواهد عدة من عيون الشعر العربی، والشواهد القرآنية، والحديث النبوی، وبلغاء العرب، أضف إلی ذلک معرفته بما قدمه السابقون فی هذا المجال من أمثال: الخليل، والأصمعی، والثعلب، وغيرهم.

يحاول أن يمنح كتابه طبعاً جديداً، حيث لم يكن يقصد بكتابه البديع، دراسة اللغة، ولايريد أن يجعله فی إطار لغوی، بل يری أنه مبحث أدبی جمالی، رغم أنه لا يفرق فی بحثه بين الكلام، والشعر، والقرآن الكريم، فكل الكلام موضوع للبحث البديعی عند ابن المعتز.

نراه فی هذا الكتاب رجلاً يسعی وراء أن يكون دقيقًا ومنهجيًا فی ما يقدمه، ولعل لهذا السبب قد أورد بروكلمان فی تاريخ الأدب العربی واصفاً كتابه هذا، بأنه أول بحث منهجی فی الشعر فی اللغة العربية.

إنه يری أن محاسن الكلام كثيرة (لا ينبغی للعالم أن يدعی الإحاطة بها) وهذا ما يؤكد قولنا السابق، من أن ابن المعتز، كان يری البديع ابتكارات فردية، وليس صياغة جماعية أو أسلوب جماعی للعصر.

يحظی كتاب ابن المعتز هذا، كما أشرنا فی أكثر من مكان، بالإبداع، والجدة فی أسلوبه، وطريقة تقديمه بعيدا عما سلكه المؤلفون السابقون له.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

ابن أبی الأصبع، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر. ١٩٨٣م. *تحرير التحبير صناعة الشعروالنثر*. تحقيق: حفنی محمد شرف. القاهرة: مطبعة لجنةإحياء التراث الإسلامی.

ابن المعتز، عبدالله. ١٩٨٢م. *البديع*. تقديم: أغناطيوس كراتشفوسكی. بيروت: دارالمسيرة.

الحلی، صفی الدين. ١٩٨٢م. *شرح الكافية البديعية*. تحقيق: نسيب نشاوی. دمشق: مجمع اللغة العربية.

www.SID.ir

Archive of SID

السكاكی، أبويعقوب. ۱۹۸۷م. *مفتاح العلوم*. ضبط وتعليق: نعيم زرزور. بيروت: دارالكتب العلمية.

الشكعة، مصطفی. ۱۹۹۸م. *مناهج التأليف عند العرب*. بيروت: دار العلم للملايين.

ضيف، شوقی. ۲۰۰۵م. *البلاغة تطور وتاريخ*. القاهرة: دارالمعارف.

القيروانی، ابن رشيق أبو علی الحسن. ۱۹۸۲م. *العمدة فی محاسن الشعر وآدابه ونقده*. تحقيق: محمد محی الدين عبدالحميد. بيروت: دارالجيل.

نورالدين عبدالمنعم، محمد. ۲۰۰۹م. *البلاغة العربية وأثرها فی نشأة البلاغة الفارسية*. القاهرة: لانا.

www.SID.ir